Frédéric Kiesel, L'Impasse Israëlo - Arabe
(Editions Vie Ouvrière, Bruxelles, Août 1972).

ان ما يحملنا على مراجعة هذا الكتاب ليست بالضرورة الاراء الجديدة الواردة فيه او الاسلوب النظري الذي عالج فيه المؤلف الامور . ان صدوره في هذه المرحلة بالذات وفي وقت نشهد فيه حملة شرسة على المقاومة الفلسطينية وحصارا اعلاميا على اهدافها وعملياتها وتخلي المزيد من اصدقائها عنها في الغرب هو الذي يضفي على هذا الكتاب اهمية خاصة ويدفعنا الى مراجعته خصوصا وانه اول كتاب من نوعه يطبع في بلجيكا ويشرح بصراحة وجهة النظر الفلسطينية .

وفريديريك كيسيل صحفي يعمل محررا للشؤون العربية في صحيفة La Cite الناطقة باسم نقابات العمال المسيحية والتي تمثل وجهة نظر الديمقراطيين المسيحيين . والمعروف ان هذه الصحيفة (وفريديريك كيسيل بالذات) تبذل جهدا مشكورا لاطلاع الراي العام البلجيكي على حقيقة الصراع الاسرائيلي العربي والمعطيات الصحيحة للقضية الفلسطينية وذلك بالرغم من الضغوط الصهيونية المتواصلة . هذا مع الاشارة الى ان الايديولوجية المسيطرة هنا تحول دون تبني الصحيفة المذكورة لفكرة « فلسطين الديمقراطية » ودعم الكفاح المسلح الفلسطيني بشكل غير مشروط .

يسرد فريديريك كيسيل في كتابه الوقائع التاريخية منذ بدء الهجمة الشرسة على فلسطين من قبل الصهاينة في مطلع هذا القرن حتى يومنا هذا . وقد جاء السرد التاريخي واضحا سخيحا يسهل على القارىء الغربي البسيط فهم معطيات ومقومات القضية الفلسطينية من اساسها . ويكذب المؤلف بشكل مباشر او غير مباشر الاكاذيب التي تروجها الدعاية الصهيونية حول فلسطين والشعب الفلسطيني والزراعة في فلسطين . الا ان طول الفترة التي يدرسها المؤلف تحول بالطبع دون التحليل الدقيق العميق .

وفيما يلي ملاحظات موجزة حول بعض الاراء التي وردت في هذا الكتاب . في سياق حديثه عن الصهيونية (ص ٧) يقع المؤلف في الفخ الذي وقع فيه كثيرون غيره ويعزو نشوء الفكرة الصهيونية القومية الى معاداة السامية التي كانت منتشرة في اوروبا في القرن التاسع عشر . وقد فات المؤلف ان الايديولوجية الصهيونية هي في الاساس وقبل كل شيء وليدة مرحلة تاريخية معينة في حياة اوروبا اعني مرحلة بروز وتطور القوميات البورجوازية الاستعمارية في القرن التاسع عشر وانها حملت اهم سمات هذه المرحلة . فهي حركة قومية بورجوازية استعمارية . ولكنها سخرت العداء للسامية واستغلته للزيادة من فعاليتها الاستقطابية على اليهود وتبرير هجمتها العدوانية الشرسة الاستيطانية على فلسطين العربية . وفي حديثه عن وعد بلفور يقول المؤلف ان ما حمل بريطانيا على اصدار مثل هذا الوعد هو رغبتها في حمل اثرياء اليهود على المساهمة في المجهود الحربي من جهة وفي الضغط على الولايات المتحدة للدخول في الحرب الى جانب الحلفاء من جهة اخرى (ص ١٥) . والصحيح — كما جاء في مقال مكسيم رودنسون « اسرائيل واقع استعماري » — ان الدول الغربية كانت ترى في الصهيونية حليفا واداة مناسبة لتحقيق مآرب معادية للثورة الروسية وذلك بسبب مقدرة الصهيونية على امتصاص نقمة اليهود على النظام الروسي ومنعهم من المشاركة في الثورة وتحويل اهتمامهم الى الهجرة الى فلسطين . ولذا فان دعم بريطانيا وحلفائها للحركة الصهيونية نابع عن قلقها على النظام الروسي الذي كانت تهدده حركة ثورية اممية تناهض الحرب الامبريالية وتدعو الى التضامن بين الطبقات الكادحة المستغلة على المستوى العالمي .

وعندما يتعرض كيسيل الى الحديث عن مشكلة العمال والفلاحين الفلسطينيين يبدو واضحا انه يجهل تماما النزعة الشوفينية العرقية للايديولوجية الصهيونية . فيقول مثلا (ص ٢٠) ان طرد الفلسطينيين من اراضيهم « لم يكن ناجما عن عداء سافر تجاه العمال العرب وانما تحقيقا لرغبة (الصهاينة) في افساح المجال امام ابناء دينهم القادمين الى فلسطين لتامين لقمة العيش لهم » ... وفي حديثه عن السياسة البريطانية في فلسطين يمر المؤلف مر الكرام او يتناسى تماما الانتفاضات الفلسطينية المتتالية ولا يذكر شيئا عن ثورة ١٩٣٦ . ولكنه تطرق الى الحديث عن مذبحة دير ياسين (ص ٣١) وادانها بشدة . كما ذكر الدور الذي لعبته هذه المذبحة في اثارة الرعب في نفوس